الفصل الثامن عشر

الصحافة فى فرنسا

اجتازت الصحافة فى فرنسا أربع مراحل :

المرحلة الأولى إلى آخر عهد نابليون ، إذ كانت الصحافة تحت سلطة الحكام بأمرهم فى العهد الملكى ثم فى عهد الثوار وتحت سلطة نابليون الأول . أما المرحلة الثانية ففى عهد الملكية الثانية إذ نعمت بالكثير من الحرية والانتشار والتعدد والتخصص إلى جانب التعميم فقد كانت الصحافة قبل ذلك إما عسكرية وإما فنية واما أدبية

وأما المرحلة الثالثة فتبدأ منـــذ عهد الجمهورية على أثر انتهاء حرب ١٨٧٠ ، حرب السبعين ، التى هزمت فيها ألمانيا فرنسا واحتلت باريس وضمت ولايتى الالزاس واللورين . كانت الصحافة يومئذ حرة ، منتشرة ، كثيرة كثرة الأحزاب ، طافحة بالانتقاد والحملات على الوزارات وساعية إلى اسقاطها وفضح عيوبها .

وحسبنا أن نذكر حملة جريدة الفيجارو من محررها مسيو كالميت على مسيو كايو قبيل الحرب العالمية الأولى ونشرها فضائحه مما أثار ثائرة حرمه مدام كايو ودفعها الى اغتيال حياة المحرر الهجاء، وتبرئة المحلفين لها بحجة دفاعها عن الشرف !

أما المرحلة الرابعة فتبدأ منذ ظهور النازية واستخدامها الكثير من الصحف الفرنسية لترويج الصداقة الألمانية الفرنسية والتنديد بالصداقة البريطانية الفرنسية ، مما كان من أثره نشر روح الهزيمة فى نفوس الشعب ، وهو أحد العوامل فى سحق ألمانيا النازية لفرنسا. هذا وقد ظهرت الصحف السرية فى فرنسا وكانت بريطانيا وأمريكا تغذيها بالمال وتقوى فيها روح المقاومة .

وقد فقدت الصحافة فى فرنسا منذ يومئذ إلى اليوم ثقة الشعب الفرنسى والرأى العام الأجنبى كثيرا ، منذ وضح أن كثرة الصحفيين الفرنسيين يمكن أن يصبحوا أداة للماليين والأجانب .

وها نحن أولاء نوضح هنا ما تنعم به صحف فرنسا من مزايا ؛

تتألف الصحيفة الباريسية الكبرى من عدد كبير من المحررين والمخبرين والمصورين وهم على درجات يتخصص الواحد منهم بالفرع الخاص به فرئيس التحرير يقوم بالاشراف على كل مايتعلق بتحرير الجريدة ، والمدير الفنى ينسق العدد ويعده ويخرجه فى

الوقت المحدد له ، وسكرتير التحرير يهتم بالرسالات ودرسها والمقابلات وغيرها ، والمحرر يواظب على تأدية عمله فى مكتبه فى تلخيص أقوال الجرائد وترجمة البرقيات والتعليق عليها بحسب أهميتها ، والمخبر يتجول من محل الى آخر يتسقط الأخبار ويلتقط صور الحوادث المحلية . وهناك محررون لكل فرع من فروع الهيئات الاجتماعية والعلمية والصناعية والتجارية والحربية الخ . أما المندوب الخاص فهو الذى ترسله رئاسة التحرير فى أحوال استثنائية لموافاتها بالمواد المهمة .

والصحفيون فى باريس على أنواع : فالصحفى الباريسى أى المحرر فى إحدى الصحف والمجلات التى تصدر فى باريس ، له امتيازات كثيرة فيها ، وتتنوع هذه الامتيازات باختلاف أنواع صناعته فالناقد السينمى المسرحى له بطاقة يدخل بموجبها جميع دور المسارح والسينما ، ولكل جريدة مخبر فى وزارة ومصلحة له حق دخولها والمخبر البرلمانى لا يعترضه أحد فى « سياحاته البرلمانية » وهكذا كل نوع منهم له بطاقته التى تخول له الدخول فى الفرع الخاص به .

والصحفى الاقليمى ، أى محرر أو مكاتب الصحيفة التى تصدر فى الأقاليم الفرنسية ، يمنح امتيازات أقل شأنا من امتيازات الأول .

والصحفى الأجنبي المراسل يتمتع بامتيازات هى دون الأولى والثانية بكثير .

ففي مجلس النواب مثلا شرفة خاصة بالصحافيين الباريسيين الإقليميين يؤمونها فى كل جلسة ، وأخرى للمراسلين لا يسمح لهم بارتيادها إلا باذن خاص ولمرات معدودة وللحصول على هذا الاذن على الصحفى أن يقدم طلبا الى إحدى نقابات الصحافة الأجنبية الثلاث فترسل اليه بعد التحقق منه تذكرة تخوله الدخول لخمس مرات فقط .

ولكى يفرق البوليس بين أنواع الصحفيين الثلاثة منح كل منهم بطاقة مختلفة الألوان للتمييز بينهم ، وهى ترجو رجال الأمن العام تقديم التسهيلات الممكنة لحاملها وتسمح لهم باختراق الحواجز فى الجرائم والحوادث المهمة ودخول محطات السكك الحديدية بدون دفع الرسوم المقررة ، ولسياراتهم بأن تتقدم السيارات الأخرى (إذا أمكن) عند مفترق الطرق وهى تقوم مقام تذكرة تحقيق الشخصية .

أما التنقلات فى المترو والترام والأتوبيس فلهذه البطاقة عند إبرازها الأولوية فى صرف التذاكر لحاملها وهى تسمح له بأن يتخذ الطريق المعاكس فى النزول والصعود الى ومن محطات المترو .

أما نقابات الصحف فى باريس فهى .

١ — نقابة الصحافيين الفرنسيين المؤلفة من المحررين الموظفين

٢ — اتحاد الصحافة الفرنسية . وأعضاؤه من أصحاب الصحف والمجلات .

٣ — الجمعية العمومية لنقابات واتحادات الصحافة المؤلفة من المحررين الموظفين وأصحاب الصحف والمجلات — وهى التى حددت مرتب المحرر العـــادى بألف ومائتى فرنك ، وانشأت صندوقا للصحافيين الفرنسيين المتقاعدين يضمن لهم معاشا كافيا ويقيل منهم من يصاب بعاهة أو مرض يقعده عن العمل ويعتنى بعائلاتهم . . .

٤ — نقابة صحافة المقاطعات والاقاليم .

٥ — ثلاث نقابات للصحفيين الأجانب تضم ألفى عضو .

٦ — الاتحاد الدولى العام للصحافيين المشترك فيه صحافيو أربعين دولة أنشىء للدفاع عن مصالحهم والمحافظة على حقوقهم .

ولهم نادٍ تم حديثا يجتمعون فيه على اختلاف نزعاتهم ، فهل هو قريب ذلك اليوم الذى نفهم فيه ان مهنة الصحافة عندنا هى فوق النزعات الحزبية ؟

وتتمتع صحافة باريس بحرية تحسدها عليها صحافة العالم ، تنتقد المسئولين من رئيس الجمهورية إلى أحقر موظف انتقادا تعاقب

عليها الحكومات الأخرى بالسجن والتعطيل ، غير أنها مقيدة بقوانين المخالفات والجنح والاجرام .

هذا وقد أسس موريس أكوا ولاتوش ونستور روكيلان « الفيجارو » فى ١٨٢٥ . ثم أصدرها فيليسان أسبوعية فى ابريل سنة ١٨٥٤ تحت اسم « لى فرانسيه » فراجت رواجا كبيرا لتنوع مواضيعها الشعبية ثم استعادت اسم «لى فيجارو» سنة ١٨٦٦ وظهرت يومية بادارة (هنرى دى روشفور وليوليبيس) وكانت أول صحيفة صدرت فى ست صفحات غير أنها لم تستقر على مبدأ ما فبعد أن كانت شعبية انقلبت الى ملكية وانخذلت فى حادثة دريفوس الشهيرة ولم ينتشلها من عثرتها الاجاستون كالميت فادارها بحزم حتى قبيل الحرب العظمى وأعقبه حموه بريستا إلى سنة ١٩٢٠ (تاريخ تسلمها كاميل ايمار ولويس لاتاروس) ومن يوم حصوله على أغلبية اسهمها وهو يسعى لشراء الأسهم الباقية للتخلص من اشراف بعض (جماعة المجمع العلمى) وكلفته هذه الصفقة عشرة ملايين وستمائة ألف فرنك (١٠٦ آلاف جنيه) وقد أعاد اليها اسمهـــا الأول (فيجارو) وأدخل عليها التحسينات العصرية وتدرج من طبع اثنين وعشرين الفا إلى تسعين الف عدد يوميا وادمج بها جريدة (لى جولوا) التى اشتراها من مدة .

وفى مايو سنة ١٩٢٨ انشأ جريدة (صديق الشعب) الصباحية فانتشرت انتشارا هائلا لرخص ثمنها وصدرت حديثا طبعة مسائية لها ولكل منها مطبعتها الخاصة وادارتها المستقلة وبالرغم عن هذا الرواج أنفق عليهما ثمانين مليون فرنك (مليون جنيه) وفيهما من المحررين والمستخدمين مائتان ، ويربو عدد نسخهما اليومية على المليون .

وتمتاز الصحف الفرنسية عن الصحف البريطانية بأن الاولى أكبر حجما وأكثر اهتماما بالعالم الخارجى وأوضح وأصدق أخبارا وأكثر اعلانات ، وأكبر رأسمال .

وهى بصفة خاصة تعنى بتدبيج المقالات وتنويع العناوين والقصص المسلسلة والقصص القصيرة ، وبنقد الكتب ، وبالادب والمسرح والسينما والحياة الاجتماعية .

والصحف الفرنسية على أنواع :

١ — صحف الأخبار ومن أهمها البتى بارزيان وكانت توزع مليونى نسخة ، وهى صحيفة شعبية تطالعها الطبقة الوسطى ، والماتان وهى صحيفة رجال السياسة والموظفين وكانت تطبع ٨٠٠ ألف نسخة ، والبتى جورنال للمزارعين والريف وتطبع نصف مليون نسخة ، والايكودى بارى للمحافظين وتطبع ربع مليون نسخة .

٢ — صحف الآراء . ويعنى بقراءتها محبو المناقشة والأهواء السياسية الخاصة

وأهم صحف هذا القسم « الأوفر » صحيفة الديموقراطيين المستقلين وتطبع حوالى ٢٥ الف نسخة . و « الكوتيديان » صحيفة الاشتراكيين المتطرفين و « الأكسيون فرانسيز » صحيفة الملكيين . ويلى هذه الصحف أهمية من جرائد الآراء : « الاكلير » و « الافنير » لسان حال العصبة الوطنية و « الامانيتية » صحيفة الشيوعيين و « الايرنوفل » جريدة الاشتراكيين المتطرفين .

٣ — الصحف الفاخرة . وهى جرائد أهل الطبقة العالية ومن يقرأون للتلذذ . وأهم هذه الصحف : « الفيغارو » جريدة المحافظين و « الغلوى » محافظة كذلك . و « الاكسلسيور » مستقلة مصورة .

٤ — الصحف الخاصة . وهى صحف المسرح ، والألعاب الرياضية ، والعسكرية والمالية والاقتصادية وأهمها : « كوميديا » للمسرح و « الاوتو » و « الايكودى سبور » للالعاب الرياضية و « فرنسا العسكرية » للجندية . وللشؤون المالية نحو عشر صحف معروفة عند رجال البورصة ومن يشتغلون بالأسهم المالية والمضاربات

٥ — جرائد الظهر والمساء . وهى متعددة المنازع . وأغلبها لا عناية له بالأخبار الخارجية . وبعضها يأتى بأخبار متأخرة ولكنه

يعنى بالتدقيق فيها ولا يذيع إلا ما يتأكد من صحته .

وكان أهم جرائد هذا القسم : « الانفورماسيون » و« بارميدى » من ألسنة حال الديموقراطيين . و « الطان » صحيفة الجمهوريين المستقلين و « الجورنال دى ديبا » جمهورية حرة . ولكل من الطان والديبا شهرة واسعة بما تنشره من المباحث الأدبية والأخبار الخارجية و « الانترنسيجان » جمهورية وطنية ، و « لاكروا » (الصليب) صحيفة الكاثوليك وهى أكثر الصحف الفرنسية مشتركين فى فرنسا إذ يبلغون حوالى ٨٠ الف مشترك . و « بارميدى » وهى ديموقراطية مستقلة .

٦ — الصحف الأجنبية . وأكثرها باللغة الانجليزية .

وأشهرها جريدة « الدايلى مايل » الانجليزية (طبعة لندن) ثم « النيويورك هرالد » و « الشيكاغوتريبون » وأخيراً « بارى تايمز » وهى صحيفة مستقلة لجماعة من الأمريكان المقيمين فى باريس و « أمريكا اللاتينية » وهى صحيفة أسبوعية تطبع بالاسبانية والبورتغالية والفرنسية .

وقل أن تخلو مقاطعة من المقاطعات الفرنسية من جريدة يومية وأكثر هذه الصحف يومية وتصدر فى ٦ صفحات أو ٨ صفحات ولكثير منها ، وعلى الأخص صحف ليون ومارسيليا وبوردو وتولوز

ونيس ، مراسلون خصوصيون فى باريس وبعض مدن أوربا . وتجمع حروفها كلها بالليتوتيب . ويطبع أكثرها على الآلات الرحوية

ولكثير من جرائد باريس وجرائد الأقاليم ملحقات أسبوعية مصورة للأزياء والزراعة والشؤون النسائية والفكاهية .

وكانت إدارات الصحف الفرنسية محشورة فى دور أرضية أو عمارات فى الشوارع الضيقة . ولا يزال شارع مونمارتر يحوى إدارات الجرائد اليومية الصغرى وكثيراً من إدارات الجرائد الأسبوعية ، فاذا حلت ساعة الظهر وجدت المحررين ورؤساء التحرير محيطين بموائد المطاعم يتناولون طعامهم وسط الأحاديث الشائقة وتبادل النكات الطريفة .

وأشهر إدارات الصحف اليومية فى باريس إدارة « الماتان » وإدارة « الطان » فى الجران بولفار وادارة « البتى باريزيان » فى شارع لافاييت . وادارة « الجورنال » فى شارع ريشيليو وفيها مسرح وقاعة بديعة للتمثيل والمحاضرات فى الدور الأعلى .

وآخر المنشآت الصحافية بباريس إدارة جريدة « الانترنسيجان » وقد جهزت بأحدث معدات الطباعة وحفر الكليشهات ومكاتب الادارة والتحرير .

المجـــلات الباريسية

يرجع تاريخ انشاء المجلات فى فرنسا إلى مفتتح القرن التاسع عشر. ومنذ ذلك العهد أخذت تتزايد ويتسع نطاقها حتى زاد عددها على ٤٠٠٠ مجلة . والاكثرية الساحقة منها مجلات هامة ترمى إلى تنوير قرائها وتزويدهم أسبوعياً أو كل أسبوعين أو شهر بمعلومات عن الحركة الأدبية والعلمية والاجتماعية .

وقد أدرك جمـــاعة الناشرين ما تتطلبه الجماهير من ضروب المباحث اللينة السهلة . فأرغموا كبار الكتاب والاكاديميين على التنزل إلى ما يرضى السواد الأعظم من الشعب .

واستعان هؤلاء الناشرون على نشر مجلاتهم وترويجها بالتفنن فى تصويرها . بل عمد بعضهم إلى إصدار مجموعات دورية ليس فيها الا الصور . وبعد أن كانت مجـــلة « الإلستراسيون » قاصرة على فريق من الخاصة أصبحت مجلة الفئة المنورة . وقل ان يخلو منها نادٍ خاص أو قهوة عمومية. وذلك لجمعها بين الصور الأنيقة والفصول الممتعة التى يدونها كبار الكتاب .

وأقدم المجلات الفرنسية وأرسخها قدماً فى المباحث العلمية

والأدبية « مجلة العالمين » . وهى تصدر نصف شهرية مطبوعة على الورق الخشن خالية من الصور والرسوم. وفى كل عدد منها خلاصة تاريخية دقيقة للحالة السياسية وأخبار الحركات الأدبية والعلمية والفنية والمسرحية فى فرنسا ونظرة شاملة الى الأدب فى البلاد الأجنبية . ومنذ نشأت مجلة العالمين وهى محتفظة بلون غلافها الأحمر الداكن .

ويلى مجلة العالمين فى الأهمية « مجلة باريس » ذات الغلاف الأصفر الذى لا يتغير . ومباحثها أقل عمقاً من مباحث مجلة العالمين ، وفى كل عدد منها مذكرات وتأملات ومراسلات وتراجم بأقلام فريق من الكتاب المعروفين بغزارة المحصول والاطلاع .

ثم « مجلة فرنسا » وهى تزين غلافها بصورة فتاة تنثر البذور إشارة إلى الغرض الأصلى من انشائها وهو نشر العلوم والآداب . وتمتاز على سابقتيها بوفرة ما فيها من القصص واذاعة دخائل التاريخ .

ويقول المسيو فرنان لادو ، العضو فى المجمع العلمى الفرنسوى إن القارىء الذى يواظب على قراءة هذه المجلات الثلاث ويكتفى بها عن سواها قل أن يفوته شىء من ضروب الأبحاث الناضجة والوقوف على التطورات العلمية والأدبية فى فرنسا والخارج .

وتأتى بعدها مجلة « مركوردى فرنس » من أقدم المجلات النصف الشهرية وهى مشهورة عند قرائها باستقصاء الشؤون الأدبية وأخبار

العلم والصحافة والادارة فى البلاد الأجنبية .

والمجلة الزرقاء كانت تصدر أولا باسم المجلة العلمية ومباحثها الآن أدبية سياسية تلذ لمحبي النظر فى الشؤون الحاضرة وطلاب المقالات القصيرة

ثم « المجلة العالمية » وكانت تعرف أولا باسم « مجلة المجلات » ثم باسم « المجلة » ومعظم مباحثها باقلام جماعة من الكتاب الأجانب وإلى جانبها مقتطفات قيمة من المجلات الأجنبية وصور هزلية للاعلام الفرنسيين والأجانب الذين تتداول الصحف والأقلام أسماءهم ، وشعارها « خير الكلام ما قل ودل » .

والمجلة العمومية ، وفى كل عدد منها أربع مقالات يعالج فيها مشاهير الكتاب أهم شؤون الحياة الفرنسية الحاضرة .

ثم « لايزنال » وهى صحيفة أسبوعية تجمع بين الصور والمقالات القصيرة فى ٣٠ صفحة كبيرة . مباحثها شائقة سهلة ترضى من يريد الاطلاع العام والاكتفاء بنظرة أو نظرات للوقوف على الأحوال الحاضرة سواء فى عالم الكتب أو المسرح أو الألعاب الرياضية أو غيرها .

و « المجلة السياسية البرلمانية » مجموعة شهرية تتضمن مباحث تحليلية للشؤون السياسية والتشريعية فى فرنسا والخارج .

و « المباحث » وهى مجلة كاثوليكية يديرها الاباء اليسوعيون فى فرنسا .

ومجلة « فرنسا أمريكا » وهى لسان حال اللجنـــة الفرنسية الامريكية وأهم مباحثها دراسة المسائل الامريكية الاقتصادية والتجارية والمالية . وتغذى قراءها بأخبار حركة المطابع والفنون فى فرنسا وأمريكا .

أما أشهر الصحف الفرنسية بعد الحرب العـالمية الثانية فهى :

Le monde ; Le combat ' Parisien Libere

وأشهر مجلات فرنسا فى الوقت الحاضر :

Revue de paris لنقد الكتب و Paris , Fontaine ،

Le Mode Francais , La Nef ،